الأمراض اللغوية وعلاجها عند ابن البنّاء

أ. حفار عز الدين
جامعة مستغانم – الجزائر

المقدمة

لقد حرص علماء القراءات واللغة على القراءة الصحيحة للقرآن الكريم، واللغة العربية، فحددوا لها قوانين القراءة كما نقلت عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه رضي الله عنهم، فحددوا مخارج الأصوات، وصفاتها، والإمالة، والقلب، والمد، والترقيق، والتفخيم، وغيرها من القوانين المبثوثة في كتب التجويد، ولم يغفل علماء اللغة عن هذا الجانب فأشاروا إلى هذه القوانين في كتب عدة كالكتاب، وسر صناعة الإعراب وغيرهما، ولعل حرصهم هذا جعلهم ينتبهون إلى ما يعيق القراءة والنطق، وهذا ما يسمى بأمراض الكلام وعيوب النطق، فحددوا هذه الأمراض وبينوا الحروف التي تلحقها، ثم وضعوا لها العلاج الشافي.

أما حديثا فألحقت أمراض الكلام باللسانيات التطبيقية، فأضحت حقلا من حقولها المعروفة، ومعلوم أن اللسانيات التطبيقية تستثمرنتائج عدة علوم لعلاج المشكلة، ومن هاته العلوم: اللسانيات، علم النفس، علم الأعصاب، علم التشريح، فهذه العلوم تتضافر فيما بينها لتشخيص أمراض الكلام ثم علاجها.

حياة المؤلف:

"هو الحسن بن أحمد بن عبد الله، أبو علي المشهور بابن البناء البغدادي الحنبلي ولد سنة 376هـ".

وفاته:

توفي رحمه الله "يوم السبت الخامس من رجب سنة إحدى وسبعين وأربعمئة، ودفن في مقبرة باب عرب".[1]

شيوخه:

أخذ ابن البناء عدة علوم من منابع مختلفة ، فأخذ الفقه "على الوالد السعيد"[2]، وأخذ القراءات عن الشيخ "أبو الحسن علي أحمد بن عمر العمامي"، وأخذ الحديث عن "هلال الحفار، وأبو محمد السكري، وأبو الحسين وأبو القاسم ..."[3].

لما انتهى ابن البناء من تلقي العلوم، أخذ يعلمها للناس، بحيث درَّس الفقه، والحديث، والقراءات، وقد خلف عدداً كبيراً من التلاميذ الذين كان لهم باع طويل في هذه العلوم، ومن أشهر تلامذته: أبناؤه الثلاثة: أبو غالب أحمد، وأبو عبد الله يحيى، وأخوهما محمد"[4] و"أبو الحسين بن الفرّاء".[5]

مؤلفاته :

ذكر العلماء أن لابن البناء تصانيف كثيرة، ويذهب بعضهم إلى أنها تفوق المئة مؤلف، وقد ذكر هذا ياقوت الحموي إذ يقول: "وصنف في كل فن، حتى بلغت تصانيفه مئةً وخمسين مصنفاً".[6]

ومن بين هذه المصنفات المؤلف الذي نحن بصدد بدراسته وهو: "كتاب بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء وإيضاح الأدوات التي بُني عليها الإقراء" هذا إضافةً إلى الكتب التي

---

[1] الحسن بن الفراء، طبقات الحنابلة ج 2، ص 243.

[2] ابن الجزري، غاية النهاية، ج 1، ص521.

[3] الحسن بن الفراء، طبقات الحنابلة، ج 2، ص 243.

[4] ابن البناء، كتاب بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء، وإيضاح الأدوات التي بني عليها الإقراء، ص13.

[5] الذهبي، معرفة القراء، ج1، ص350.

[6] ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج. 7، ص 266.

حفظت من الضياع وهي:[1]

– الخصال والأقسام.
– الرسالة المغنية في السكوت ولزوم البيوت.
– سلوة الحزين عند شدة الأنين.
– شرح الإيضاح في النحو لأبي علي الفارسي.
– طبقات الفقهاء أصحاب الأئمة الخمسة.
– نزهة الطالب في تجريد المذاهب.

التعريف بكتاب "بيان العيوب"

إن عنوان الكتاب دليل على المادة التي يعالجها، ألا وهي عيوب النطق وأمراض الكلام وكيفية علاجها، وشخص ابن البناء عيوب القراءة، وأمراض الكلام حتى يتجنبها القراء عند قراءتهم للقرآن الكريم.

ويقسم ابن البناء الأمراض اللغوية إلى قسمين وهي: عيوب نطقية متكلفة يسهل علاجها، وأمراض كلامية قد تكون لازمة للإنسان منذ ولادته وفي هذه الحالة يصعب علاجها، ومع ذلك يقدم ابن البناء علاجاً لهذه الأمراض للتخلص منها بعد أن يجتهد المريض في ترويض لسانه على النطق الصحيح .

آ. عيوب الأصوات:

– **الجهر الصاعق:** عده ابن البناء من عيوب الأصوات، ويعني هذه المصطلح الصوت الشديد فـــ "الصاد والعين والقاف أصل واحد يدل على صعقة وشدة صوت، من ذلك الصعق وهو الصوت الشديد، يقال حمار صعق الصوت ، إذا كان شديده، ومنه الصاعقة، وهي الوقع،

---

[1] البغدادي، هدية العارفين، ج1، ص276.

الشديد من الرعد ويقال إن الصعاق الصوت الشديد ..."[1].

ينبه ابن البناء على اجتناب الصوت الشديد، عند القراءة لأنه من العيوب الصوتية التي يجب اقتلاعها .

– **اللَّكز:** باللغة: "الضرب بالجمع في جميع الجسد، وقيل الدفع في الصدر بالكف"[2] وهو عيب من عيوب القراءة، وعرفه ابن البناء بقوله: "وهو الابتداء بقلع النفس، والختم به، وكذلك المبتدئ بصياح مديد والخاتم به... وحقيقة اللكز دفع الحرف بالنفس عند إخراج له به، وهو في الاستئناف أقوى منه في القطع"[3].

والحاصل، أن اللكز هو شدة اندفاع النفس عند النطق بالحرف، وعند الانتهاء منه .

– **السرعة والتشديد:** ينبغي أن يراعى عند النطق بالحرف الساكن، تجنب أمرين، لأنهما متى حدثا أثناء النطق بالساكن، يتحول الحرف من الصحة إلى الخطأ، ويدخل هذا في باب عيوب النطق بالصوت، "... فأحدهما: السرعة به حتى يصير متحركاً، والثاني التشديد له حتى يزيده ثقلاً".[4]

وهكذا يبدو جلياً، أن ما يمكن استنتاجه من التوضيحات السابقة، هو أن يعطي المتكلم لكل صوت حقه، فلا ينقص، ولا يزيد.

– **الزيادة:** ويقصد به الزيادة في المدود، ويعد هذا من عيوب النطق، لأنه ينبغي أن تعطى للمدود حقوقها أثناء النطق ، يقول ابن البناء "وكذلك يجدر من زيادة المدود الذي يخرجه عن حده فيعتقد أنه تجويد وأن فيه من المحسنين، ولايعلم أنه من المسيئين"[5].

– **التمضيغ:** التمضيغ مصطلح من مصطلحات عيوب النطق، عند ابن البناء، ويعرفه بقوله:

---

[1] أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة العربية، دار الجيل بيروت، مج. 3، مادة (صعق) ص 285.

[2] ابن منظور، لسان العرب، مادة (لكز)، ج. 7، ص 273.

[3] ابن البناء، بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء وإيضاح الأدوات التي بنى عليها الإقراء، ص 31.

[4] المرجع نفسه، ص 32 .

[5] ابن البناء، بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء وإيضاح الأدوات التي بنى عليها الإقراء، ص 273.

"هو تعريض الشدقين[1]، كالمتزحر[2]" وقد نهى النبي الحبيب صلى الله عليه وسلم، عن التَّشدق.

– **الطَّحر:** ويعد من عيوب القراءة، والطَّحير لغة: "النفس العالي، وسمي بذلك لأن صاحبه يطحر. قال الكميت:

بأهازيج من أغانيها الجـــ ش واتباعها الزفير الطحيرا"[3]

أما اصطلاحاً فــ "هو إخراج الحروف بالنفس قلعاً من الصدر، ولربما خفي بأكثرها مخرج الحاء والهاء، لما يبالغ في إخراجها من الشدة، ومنهم من يفتح لذلك فاه حتى كأنه يصايح مخاصماً في إغضاب"[4].

والحاصل مما تقدم، أن الطَّحر: هو إخراج الحروف بزفير عال، وهذا ما يؤدي إلى إخفاء بعض الحروف أثناء النطق، وهنا إشارة من ابن البناء إلى ترك النفس طبيعياً حتى لا نهضم حروفا أثناء النطق.

– **الزَّحر:** لعل من حسن القراءة الصحيحة، هو إعطاء الحروف حقها أثناء النطق: أي دون تمديد للحرف ولا تقصير له لأنه يعد من العيوب وهذا ما يسمى بالزحر، وهو "تمديد الحروف خارجاً عن سنن حدها، حتى تتقلص لذلك جلدة الوجه"[5].

– **الترعيد:** ويكون بترديد الصوت: أي كأنه يتغنى بالصوت أثناء نطقه و"صفته تعليق الصوت بترديد الحنجرة كأنه يروم منزلة من التطريب والحدر في إفساد الحروف ومنع لمدارج الكلام من إمضائها على سواء"[6].

---

[1] الشِّدق: جانب الفم، وجمعه أشداق.الرازي، مختار الصحاح، مادة (ش د ق)، ص150.

[2] الزحير: التنفس بشدة .يقال زحرت المرأة عند الولادة . المرجع نفسه، ص124.

[3] ابن البناء، بيان العيوب التي يجتنبها القراء، ص 32.

[4] ابن فارس، مقاييس اللغة ،مج .3، مادة (طحر)،ص444.

[5] ابن البناء، بيان العيوب التي يجتنبها القراء، ص 32.

[6] ابن البناء، بيان العيوب التي يجتنبها القراء، ص 32.

يمكن القول إن الترعيد يفسد النطق الصحيح للأصوات، لأنه يحدث نوعاً من الإرباك على مستوى مدارج الكلام.

– **التشديق:** ومن العيوب التي ينبغي اجتنابها أثناء القراءة، التشديق: أي تمديد الحرف عند النطق به من جانب الفم الأيمن أو الأيسر، ويعرفه ابن البناء بأنه "... تطويل الحروف في تمييل أيمن الشدقين أكثر من تمييل الأيسر، أو الاستعانة بهما عند المخفوض أو التنقل إلى فتح مثل: (إن وليي الله)..."[1].

التكليم: وهو من عيوب القراءة، ويعني التقطيع في النفس أثناء النطق، "وصفته تجريد الحروف بترقيص النفس من معاليق الأحشاء".[2]

يُلِحُّ ابن البناء على اجتناب العيوب التي أشرنا إليها سابقاً أثناء النطق والقراءة، وهذا بالابتعاد عن كل ما يشين النطق، كشدة الصوت، وتطويله، وسرعة نطقه، أو التشدق به والعمل على إعطاء كل حرف حقه أثناء النطق.

ب. أمراض الكلام:

أحصى ابن البناء عددا من أمراض الكلام في مؤلفه ووصف علاجها، وتتمثل هذه الأمراض فيما يلي:

– **الرُّتَّة:** يقال رجل أرت "وهو الذي يدغم حرفاً في حرف"[3]، من شدة سرعته في الكلام. قال ابن فارس "الرتة العجلة في الكلام"[4]. فعدم التأني أثناء النطق تؤدي إلى إسقاط بعض الحروف، والقاعدةِ الصوتية كالإدغام، والقلب...

ويقدم ابن البناء وصفة يعالج بها من يعاني من الرتة، فيقول: "يجب أن يصر حين القطع ليتمكن، وبمدافعة النفس علواً، ثم يأخذ في قراءته ولْيُعْلِ من صوته قليلاً في تعاهد حسن

[1] سورة الأعراف، الآية: 196.

[2] ابن البناء، بيان العيوب التي يجتنبها القراء، ص 33.

[3] ابن البناء، بيان العيوب التي يجتنبها القراء، ص 33.

[4] ابن فارس مقاييس اللغة، مادة (رت)، مج.2، ص 384.

وإقداماً على درس"[1].

– **التمتمة:** ومن يتصف بهذا المرض يسمى مُتمماً "وهو الذي يكرر التاء"[2]. ويقول الأصمعي "إذا تتعتع اللسان في التاء فهو تمتام"[3].

أما علاج التمتمة، فتكون "... باستعمال ما ذكرناه في علاج الأرت، وزيادة بحسب قوة العارض، من كل ما يدفعه به، فيشدد صوته فيمد نفسه ويصلب فكيه، فإن كانت التمتمة تبقى بفكيه طويلاً أطبق فاه وابتلع ريقه وأخرج الكلام بين ذلك قليلاً قليلاً..."[4].

– **الفأفأة:** "هو الذي يكرر الفاء"[5]. أي يردد صوت الفاء عند النطق، ويقول الجاحظ: "وإذا تعتع في الفاء فهو فأفاء"[6].

– **اللُّثْغة:** قسمها ابن البناء إلى عدة أصناف وهي:

1. **اللاثغ بالراء:** وتتغير إلى أربعة حروف وهي (اللام، أو الغين، أو النون، أوالياء). "فمن اللثغ من تتغير الراء في لسانه فتكون على درجة النون أو الياء..."[7]. فينطقون مثلاً "لفظ" "البدر" على أنواع اللثغة هكذا (بدل، وبدغ، وبدن، وبدي).
2. **اللاثغ بالكاف:** وهي كسابقتها، إلا أنها تتغير إلى قاف أو ياء "ومنهم من يلثغ بالكاف فيخرج بها الصوت في طريقة القاف". فينطق مثلاً لفظ "الكهف" "القهف" "اليهف".
3. **اللاثغ بالغين:** "ومنهم من يخرج الكاف وهي من أقصى فيه، من مدرجة الياء الكائنة في أدنى الفم"[8] وهو الذي يجعل الغين عيناً، وسمى الكندي من يتصف بهذا المرض بـــ

---

[1] ابن البناء، بيان العيوب التي يجتنبها القراء، ص 48.

[2] المرجع نفسه، ص 48.

[3] الجاحظ، البيان والتبيين،ج 1، ص 37.

[4] ابن البناء، بيان العيوب التي يجتنبها القراء، ص 48.

[5] الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص 37.

[6] ابن البناء، بيان العيوب التي يجتنبها القراء، ص 48.

[7] الجاحظ، البيان والتبيين، ج. 1، ص 37.

[8] ابن البناء، بيان العيوب التي يجتنبها القراء، ص 49.

"الملاغي العي" ومنهم من يلثغ بالغين فيخرجها الصوت في طريقة العين"[1]. مثل نطق لفظ "غراب" "عراب".

4. **اللاثغ بالحاء:** وذلك بجعل الحاء خاءً عند النطق، وذلك "بإخراج الحاء مزحلقة بالصوت في مدرجة الخاء[2] مثل نطق كلمة "حارب" "خارب".
5. **اللاثغ بالشين:** وهو الذي ينطق السين ثاء أو شيناً". ومنهم من ينطق بالسين تاء... ومنهم من ينطق بالسين شيناً"[3]، كنطقه للفظة "سلام" "ثلام" أو "شلام".
6. **اللاثغ بالعين والغين:** أي يجعل العين والغين همزة عند نطقه، يقول ابن البناء: "ومنهم من يبدل العين في نطقه همزة والغين كذلك"[4]. كنطقهم لـ: "عن" بـ: "أن" و"غمر" "أمر".
7. **اللاثغ بالياء:** أي أن تجعل "الياء سيناً"[5].
8. **اللاثغ بالصاد:** أن يبدل في منطقه "الصاد زايا"[6] مثال ذلك نطقه للفظة "صقر" بـ: "زقر".
9. **اللاثغ باللام:** إذا بدل "اللام بالياء"[7]، مثل: "الكلام" "كيام".

أما علاج هذه الأمراض، فيصف لنا ابن البناء الدواء الشافي لها فيقول: "... فَلْيَتَحلَّ المبتلون بذلك في إذهابه، وإن كان ذا خفة، بتهجي ذلك وتقطيعه، ولْيستعملْ صاحب كل حرف من الحروف المنقلبة طرف لسانه مسندة بحنكه وفكيه فيحركهما ليتبعه صعاق الحروف

---

[1] ابن البناء، بيان العيوب التي يجتنبها القراء، ص 48.

[2] المرجع نفسه، ص49.

[3] المرجع نفسه، ص49.

[4] المرجع نفسه، ص.49.

[5] المرجع نفسه، ص 49.

[6] المرجع نفسه، ص 49.

[7] المرجع نفسه، ص 49.

المفقودة فيه... فإن جاهد ذلك بطول السعي وتكرير التثقيل فانتفع به ... فإن لم يغلب شهوته لدفع ذلك عنه فلْيخفضْ صوته بالحرف المعلول، وليجهر بما سواه ..."[1].

وختاماً أود في هذا المبحث تأكيد أمرٍ مهم في نظري القاصر، مفاده أن الأمراض اللغوية، وعيوب النطق، قد عرفها العلماء المسلمون منذ القرن الثاني الهجري مع رسالة الكندي (260هـ) "هذه هي الأقدم فيما وضع في هذا الباب وقد قدم لها صاحبها... تكلم عن أسباب اللثغة وما يعرض اللسان من التشنج أو الاسترخاء... ثم حدد الحروف التي تعتريها اللثغة وحصرها في عشرة أحرف وسمى بعض أعراضها وأنواعها ليختم الكلام بذكر عللها"[2].

ويعد كتاب ابن البناء واحدا من الكتب التي تناولت تشخيص الأمراض ووصف علاجها، هذا إضافةً إلى العالم ابن المنادي، الذي اهتم بعيوب القراءة، وأمراض الكلام.

وبهذه الأعمال يمكننا أن نصنف هؤلاء العلماء في المراتب الأولى في مجال اللسانيات التطبيقية بمفهوم العلم الحديث. لأنهم لم يكتفوا بتبيين العيوب، بل تناولوا كيفية علاجها .

[1] ابن البناء، بيان العيوب التي يجتنبها القراء، ص49

[2] الطيان محمد حسان، رسالة يعقوب الكندي في اللثغة، ص173.

ثبت المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

1. البغدادي، هدية العارفين مكتبة المثنى،بغداد، د.ت.
2. ابن البناء الحسن بن أحمد بن عبد الله، بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء وإيضاح الأدوات التي بنى عليها الإقراء، تحـ: غانم قدوري حمد، مجلة معهد المخطوطات العربية الكويت، مج :31، ج.1، جمادى الأولى– شوال، 1407هـ – يناير–يونيو 1987م
3. الجاحظ، البيان والتبيين، تحـ: عبد السلام محمد هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1367هـ – 1948م.
4. ابن الجزري أبو الخير محمد بن أحمد، غاية النهاية في الطبقات القراء، تحـ: برجستراسر، مكتبة الخانجي، مصر،1351هـ –1932 م.
5. الذهبي، معرفة الكبار على الطبقات والأعضاء، ط1، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1969.
6. الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختارا لصحاح، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1997م.
7. الطيان محمد حسان، رسالة يعقوب الكندي في اللثغة، مجلة التاريخ العربي، تصدر عن جمعية المؤرخين المغاربة، العدد :2،1417هـ 1997م .
8. ابن فارس أبو الحسين أحمد، مقاييس اللغة، تحـ: عبد السلام محمد هارون، مج.2، دار الحيل، بيروت، د.ت.
9. ابن الفراء أبو الحسن محمد بن محمد بن الحسن، طبقات الحنابلة، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة،1371 هـ–1952م.
10. القفطي علي بن يوسف، إنباه الرواة على أنباء النحاة، ج.1، تحـ: أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية 1369هـ – 1932م.
11. ابن منظور، لسان العرب، مطبعة بولاق.
12. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، د.ت.